إعادة بناء الثقافة والوعي البصري

السينما والناقد والتغير في رؤى العالم

بقلم : نبيل عبد الفتاح
مستشار مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية - «الأهرام»

«مقال إهداء الى الأصدقاء سمير فريد، وصلاح هاشم ، وعصام زكريا»

هل من الممكن تصور العالم من دون السينما ؟

سؤال يتبادر الى ذهني بين الحين والحين، على الرغم من الوعي الذاتي، أنه سؤال لم يكن مطروحا، قبل مغامرة الأخوين لوميير البديعة الساحرة، التي أعادت صياغة رؤيتنا لذواتنا والعالم من حولنا، وفتحت الأبواب أمام التعرف البصري على ثقافات العالم، وقيمه، وأنماط سلوكه، وجمالياته، وسردياته البصرية، بل وأسست السينما، ومعها التصوير الفوتوغرافي، لكبار مصوريه، لثقافة العيون، التي أضافت الى الثقافة البصرية أبعادا جمالية فذة، والأخطر إرهاف الوعي البصري والإجتماعي ، بالتعدد والإختلاف..

من هنا تبدو مشروعية السؤال الذي يبدو بسيطا وساذجا، العالم بدون الموسيقى والسينما، سيبدو جحيما أرضيا لايطاق!.

من هنا تبدو، السينما في بعض وجوهها، سحرا ما وراء السحر، وواقعا ما وراء الواقع، من خلال التضافر، بين حركية الصورة، وتدفق الموسيقى المصاحبة لها، في توشيجات، وتمازجها، وكيمياء بصرية فذة، في أعمال كبار المخرجين لامعي الموهبة، وعمق الثقافة والوعي الإجتماعي والسياسي، لاسيما سينما الواقعية الجديدة، والموجة الجديدة، وسينما المؤلف .

السينما ومعها الموسيقى، في كافة مدارسهم وتطوراتها، ورموزها الباهرة، لم تكن محض إستهلاك بصري لسردياتها، وحكاياتها الساخرة، والميلودرامية، أو الكوميدية، أو التراجيدية،فقط ،وقت أن إعتمدت على النصوص الأدبية، تنهل منها حكاياتها الفيلمية التي إعادت بناءها ومعها فضاءاتها التخيلية ..

وإنما اكتسبت السينما فرادتها، ومكتسباتها، وتطوراتها التقنية، من اعتمادها على الرأسمال الخبراتي التقني، والبصري، والسردي من داخلها، عبر خبرات التصوير والسيناريو، والإخراج، والتمثيل، وثقافة الحيز المكاني، منظومة كاملة متضافرة في الإنتاج الإبداعي للعمل السينمائي، وتكامل الجماعة السينمائية، ثم التركيز من قبل الخطابات النقدية والسينمائية،على السردية السينمائية،مثل التمثيل ،والإضاءة، والسيناريو .وحركة الكاميرا، والإخراج بوصفه سيد العمل السينمائي ،وذلك وفق المنطلقات النظرية لكاتب السيناريو والحوار والمخرج ، والدور الرائد للناقد السينمائي، سواء أكانت هذه المرجعيات الخلفية لهم/هن أيديولوجية، أو فلسفية أو جمالية – أيتيقية– ومن ثم دوره في تصنيف وتحليل الأفلام ،وفق توجهات المخرجين وكتاب السيناريو والحوار، من منظور الانتماءات السياسية، أو من منظورات فنية، وتقنية وفق مدارس الإخراج السينمائي على إختلافها، وخاصة الأوروربية، والإيطالية والفرنسية والألمانية ،والاسبانية، وسينما أوروبا الشرقية– ألمانيا الشرقية، والمجر وبولندا وتشيكوسلوفاكيا الخ–، وقد تجددت الخطابات النقدية ، مع تطور هذه المدارس السينمائية وةالإخراجية، وتبلور مقاربات نظرية وتحليلية مستمدة من تطور الفن السينمائي، وتشكلت اللغة النقدية من إبداع نظريات ومصطلحات مستمدة من الفنون السينمائية ومن داخلها وبعضها من فنون آخري ..

لاشك أن دور النقد السينمائي، في التكوين النظري والتحليلي والثقافة البصرية ، هو نتاج للمعرفة والوعي البصري، والشغف بالسرديات السينمائية والتكوين المعرفي العريض بالفلسفة، والأدب، لاسيماالشعر والرواية والقصة والمسرح والفنون التشكيلية، لأنها روافد معرفية وفنية أسهمت في إرهاف حساسية المخرج المبدع، والناقد الخلاق، وعبرهما تطورت السينما إخراجا ونقدا..

ربما لايحتاج المشاهد العادي للسينما، أيا كان تعليمه ، أو أميته، الى الناقد وتحليلاته للأعمال السينمائية، لأنها تخاطب الجموع، من خلال السردية البصرية والتمثل، وتعتمد على تمثل المشاهد، أيا كان لهذه السردية التي تخاطب عيونه وعقله ووجدانه، والتمثل البصري السينمائي نسبي، ويستطيع المشاهد الآن أن يعيد سرد الفيلم، وفق ما إسترعى إنتباهه، وغالبا مايكون سردا مشحونا بأثر العمل على المتلقي العادي وسعيد سرده وفق تخييلاته ..

من هنا خاطبت السينما العالم كله، ولم تحتاج الى وسائط سوى الترجمة، أو نقل الحوار الى لغة المشاهدين في ثقافات ولغات أخرى..

يبدو لي أن دور الناقد الخلاق للسينما، بقطع النظر عن دوائر مستهلكي نقد السينما بين بعض المثقفين، والمتعلمين في عصر الثقافة الورقية، كان بالغ الأهمية، في الإرتقاء بالسينما عموما،وبالوعي البصري، والإرتقاء بثقافة العيون في المجتمعات الحديثة ومابعدها وفي عصر المابعديات السائلة ، حتى لحظة إنتقالنا الى عالم جديد الآن – الروبوتات، والأخيلة السينمائية، والذكاء الصناعي، دورا بارزا في تطوير الفن السينمائي، في كافة عناصره..

السينما والناقد الخلاق، إستطاعوا أن يلعبوا أدوارا هامة في تطور الفنون الأخرى، عبر الناقد أساسا، ومعه المخرج المبدع، والمصور، وكاتب السيناريو والحوار، وذلك الى ثقافات العالم كله، وذلك على النحو التالي :

أدى التطور النظري والتطبيقي للخطاب النقدي السينمائي، الى التأثير على ثقافة الصورة، والمكان ، لدى الشعراء والروائيين والقصاصين والمسرحيين ، وثمة إستلهام للصورة السينمائية، وحركيتها في الأمكنة، على الصورة الشعرية، وعلي السرديات القصصية والروائية، بما فيها شعر العامية المصرية، لدى عديد الشعراء من أجيال مختلفةفي مصر مثالا.

ساهم تطور كتابة السيناريوهات والحوارات في السينما، على بنية السرديات الروائية والقصصية، وعلى بناء القصة، وعلى مجازاتها اللغوية، والأهم أنها أدت الى نقل الحركة في الفعل التصويري وسرعتها ونقلاتها الى السرد، والقصيدة، لاسيما منذ جيل السبعينيات في مصر حتى جيل العشرية الأولى من الألفية الجديدة.ومن ناحية أخرى ساهمت السينما في تسهيل الكتابة الروائية منذ الستينيات وإلي الآن، من خلال المحاكاة والإستعارة،و—إعادة الصياغة للحبكات، وهو جيل البست سيلر best–seller السائد،بقطع النظر عن مستوى هذا النمط من الكتابة إبداعيا، إلا أنه أدخل قطاعات من الأجيال الشابة الى السوق القرائي..

إنتاج الخطابات النقدية السينمائية، أسهم في إثراء الثقافة –من خلال تنظيراتها، على نحو مافعل بعض الفلاسفة الفرنسيين – بالسينما والصورة فلسفيا..

الهدف الإنتاجي والإقتصادي من السينما هو السوق ورائدها المتعة البصرية والسردية بالحركة، والجماليات، لأن السوق السينمائي عالمي منذ بداياته، وأيضا كوني الأن . كبار المخرجين المبدعين وكتاب السيناريو والحوار والمصورين العظام، وتجاربهم الرائدة – الواقعية الإشتراكية، والواقعية الجديدة الإيطالية أساسا، ثم الموجة الجديدة وسينما المؤلف – حاولوا كسر الحدود اللإقتصادية للإنتاج، الساعي لتعظيم الربحية،بحثا عن مسارات مختلفة، وملهمة للسينما الساحرة، ونجحوا في تطوير الفن، ومعهم النقاد في تطوير خطاباتهم النقدية، ولغتهم ومصطلحاتهم، ومجازاتهم..

الناقد السينمائي المبدع ليس محللا للعمل الفني البصري السينمائي فقط ، وإنما هو فيلسوف الرؤى البصرية، وجمالياتها، ومن ثم دوره في ثقافات العالم بارز وملهم، وعلى الرغم من أن –في أدواره لايزال محدودا الى حد ما في عمله النقدي السينمائي المتخصص – ، على الرغم من دوره في إثراء رؤى العالم، لدى المفكرين والمثقفين الكبار .

من ناحية أخرى دور كبار مخرجي الدنيا، ومدارسهم المختلفة، في إضفاء رؤى مغايرة للعالم، وللشرط الإنساني، في ظل تطورات حياتنا الحديثة، في ظل الرأسمالية وتطوراتها، والحداثة، ومابعدها، وفي مرحلة المابعديات السائلة، وحتى دخولنا عصر الذكاء الصناعي والأناسة الروبوتية ..

والسؤال: هل تلعب الروبوتات أدوار كتاب السيناريو والحوار؟ !، هل تلعب دور الممثل والمخرج، هل تلعب أدوار الناقد السينمائي المبدع؟!

أسئلة سنحاول الإجابة عليها في مقال قادم.

السؤال لماذا غاب إسهام الناقد في حركة الفكر الحداثي المبتسر في مصر والعالم العربي؟

لماذا تم تناسى دوره في هذا المجال، أو بالأحرى تناسي دور بعض النقاد المصريين والعرب البارزين ، في تاريخ تطور الأفكار ؟

السبب الأول : يرجع هذا النسيان الى تركيز بعض مؤرخي تطور الأفكار، على بعض المفكرين البارزين، منذ نهاية القرن التاسع عشر، وحتى النصف الثاني من القرن العشرين، وغلبة النظرات المدرسية الأكاديمية في مقارباتهم التاريخية.

السبب الثاني : أن السينما العالمية والمصرية، روج لها بعض الصحفيين من المحررين الفنيين قبل 1952، وبعدها، والى الآن، وغالبهم كانوا يركزون على حكاياتهم عن الأفلام، والظروف المحيطة بكل فيلم، من قفشات ونوادر، والأخبار الخاصة بالنجوم من الممثلين والممثلات، وذلك كجزء من اللاتخصص في الصحافة المصرية، والذي أدى الى تدهورها التاريخي وانهيارها ضمن عديد الأسباب السياسية والاجتماعية والتقنية والثقافية المتدهورة .

السبب الثالث : تحول بعض المحررين الفنيين منذ عقد السبعينيات والى الآن، الى تسمية أنفسهم « نقادا « مع تطور بسيط في لغة متابعاتهم للأفلام دون تخصص، أو ثقافة رفيعة، تمزج بين النقد النظري والتطبيقي إلا قليلا، مع ضعف في المتابعة لسينمات العالم ومدارسها، درسا وتحليلا ورؤية ، وذلك علي الرغم من التطور البارز في المنصات الرقمية وأثر الرقمنة علي فعل المشاهدة ..

السبب الرابع : فقدان الحساسية السينمائية لدى غالب المحررين–» النقاد» ، وتركيزهم على علاقاتهم بالمنتجين والممثلين والممثلات والمخرجين ، والعمل في المهرجانات التي لايشاهدها الجمهور ولا غالب المدعوين !!.

السبب الخامس: عدم تطور الدرس السينمائي في معهد السينما في مصر، وعدم تطور حركة البعثات الى أوروبا وأمريكا، علي نحو، حول التكوين النقدي، الى ماهو سائد، من ثقافة معطوبة وسطحية.

هذا هو الغالب في المشهد النقدي ، على الرغم من بروز بعض النقاد البارزين، من أمثال سمير فريد، وسامي السلاموني، وصلاح هاشم، وعصام زكريا...إلخ .

الناقد السينمائي في لبنان، وتونس والمغرب، بعضهم متميز كنتاج لثقافة المشاهدة، والقراءة، والتكوين، على نحو أسهم في تطوير بعض خطابهم النقدي بلا جدال..

تراجع، وتدهور السينما المصرية، إنتاجا وإبداعا، أدى أيضا الى تراجع دور الناقد، على الرغم من أن بعضهم، أسهموا في رفد ثقافتنا البصرية، برؤى مختلفة.

ولايزال السؤال مطروحا : هل يمكن تصور العالم دون السينما والموسيقى، ونقادها ؟

نبيل عبد الفتاح

حسن الرداد: «بابلو» شخصية صعبة تعبر عن الحارة المصرية

بعد غياب عن الدراما العام الماضي، يخوض النجم حسن الرداد السباق الرمضاني هذه السنة من خلال مسلسل «بابلو» الذي يتناول عددا من القضايا الشائكة، كالهجرة غير الشرعية وتجارة الأعضاء.

ويلعب الرداد في المسلسل دور سيد حسن المعروف باسم «بابلو»، الذي توفي والده وهو لا يزال صغيرا، ليمر بظروف صعبة ينجح في التغلب عليها، لكنه يصطدم بعصابة كبيرة للإتجار بالبشر ويخوض ضدها العديد من المواجهات.

وقال الرداد في تصريح صحفي إن «شخصية بابلو صعبة، وتطلبت مجهودا كبيرا حتى في طريقة الوقوف أو المشي أو الكلام، هذا إلى جانب الحالة النفسية المصاحبة لها. يحتوي العمل على مشاهد (أكشن) صعبة للغاية، وكنا نخاف من الإصابات أثناء التصوير».

وأضاف الفنان المصري: «أحب المنافسة للغاية، وأستمتع بالشخصية وأعمل عليها بشكل احترافي لكن بإحساس الهاوي. تفكيري مشغول دائما بدخول الأعمال المختلفة لأن المنافسة في صالح الجمهور، والنجاح ممكن أن يعم الجميع كل بقدر ما يقدمه من أدوار تكون قريبة من المشاهدين».

وتابع: «لا يوجد أي تفاصيل كوميدية في العمل لكن في بعض اللحظات سيجد الجمهور عددا من الجمل المضحكة التي قد تكون بمثابة (اللازمة) أي عادة يقولها الشخص باستمرار، مثل (بابلو أوعى تقابله) وغيرها، وهو ما يميز الحارة المصرية وشخصياتها التي يكون لديها القافية في الكلام».

حسن الرداد

وأشار الرداد الذي نال جائزة أفضل ممثل سينمائي عن دوره في «البس عشان خارجين» عام 2016، إلى أنه «من بداية مشواري وأنا أحب التنوع وأتجنب حصر نفسي في أدوار معينة، فعندما قدمت الدالي واحكي يا شهرزاد، بدأ تصنيفي في دور الشاب المنتمي للطبقة الغنية، لكنني قررت بعدها تقديم الرومانسي والكوميدي كما حدث في آدم وجميلة والآنسة مامي وغيرهما من الأعمال».

وفيما يتعلق بالمشاركة بالأفكار حول شخصيات المسلسل، أضاف: «جمعتنا العديد من الجلسات مع المخرج والمؤلف والمنتج لاقتراح الشخصيات الموجودة في العمل، لكن المخرج الأستاذ محمد حماقي هو من له الرأي الأخير في الاختيارات».

وحول التأثير الذي أحدثته شخصية بابلو، قال الرداد: «ظهرت العديد من الأغاني التي تحتوي على كلمات خاصة بالشخصية، وهو ما يسعدني ويظهر إلى أي مدى وصل العمل للناس».

لكنه أشار إلى أن «التريند على السوشيال ميديا خادع للأسف، لأنه عالم واسع وهناك عدد من التريندات تكون مدفوعة من دون أن يكون لها تأثير واضح. مواقع التواصل الاجتماعي ليست معيار النجاح على الإطلاق، والأعمال التي وصلت للناس معروفة، والنجاح يفرض نفسه».

جدير بالذكر أن مسلسل «بابلو» من بطولة حسن الرداد وأروى جودة ومصطفى فهمي ونجلاء بدر وعبد الرحمن أبو زهرة، ومن تأليف حسام دهشان، وإخراج محمد حماقي.

هالة صدقي: مسلسل «فاتن أمل حربي» تشابه بعض أحداثه مع مشكلتي الشخصية

كشفت الفنانة المصرية هالة صدقي التي تلعب دور «ميسون» صديقة نيللي كريم بطلة مسلسل «فاتن أمل حربي» الذي يبث حاليا في مصر ويثير جدلا واسعا، تفاصيل مثيرة حول دورها في المسلسل، وتشابه بعض أحداثه مع مشكلتها الشخصية.

وقالت الفنانة إنها وافقت على المشاركة في المسلسل بعد غياب عامين عن المشاركة في مسلسلات رمضان لإقناعها بالسيناريو والنص، خاصة أن المسلسل يناقش قضية جوهرية تمس حياة الكثير من الأسر المصرية، وهي قضية النفقة وحضانة الأولاد، مشيرة إلى أنها عندما قرأت لم تقتنع به ولكنها وافقت على المشاركة لاقتناعها بقضية المسلسل.

ولفتت الفنانة إلى أن مشاركتها وقبولها بدور «ميسون» كان إيمانا منها بقضية المرأة المصرية التي تجسدها أحداث المسلسل، وتحديا لها مع نفسها، مشيرة إلى أن أحداث المسلسل تتشابه مع قضيتها الشخصية التي تعاني منها منذ سنوات وتتعلق بالطلاق والنفقة وحضانة أولادها، موضحة بدعابة أن حلقات المسلسل ستنتهي، ولكن قضيتها تحتاج لـ120 حلقة حتى تنتهي.

وأضافت الفنانة المصرية أن القانون يتعامل مع المرأة على أنها مجرد «دادة « للأطفال وليست أما، فليس من حقها أن تسافر مع أولادها إلا بموافقة زوجها أو طليقها، وليس لها حرية اتخاذ قرار بشأن أطفالها، وتواجه مشكلات كثيرة بسبب حقوقها وحقها في النفقة في حالة الطلاق وغيره من الحقوق التي تحتاج وقتا طويلا لانتزاعها، مشيرة إلى أن القانون أنصف المرأة لكنها تواجه بطء التنفيذ وتأخر الحصول على الحقوق.

وكشفت الفنانة المصرية أن من المفارقات المثيرة في المسلسل أنها تعرف تفاصيل ودهاليز المحكمة التي جرى تصوير بعض مشاهده فيها، لكونها كانت دائمة التردد عليها، وهي ما أصابها بالكآبة لأنها تعرف كل أروقة المحكمة وغرفها وطرقاتها بسبب ترددها الدائم عليها لمتابعة قضيتها الخاصة.

وقالت إن من الأمور التي ترغب في لفت النظر إليها ما كشفه المسلسل عن وجود حالة انسجام بين الأقباط والمسلمين، مضيفة أنها قبطية وصديقتها مسلمة وعلاقتهما جيدة وتظل صائمة طوال النهار وتفطر مع زميلاتها المسلمات.

يذكر أن أحداث مسلسل «فاتن أمل حربي» تدور حول امرأة تعاني وطفلتها من مشكلات مع طليقها وتواجه بعض العقبات بسبب قانون الأحوال الشخصية، الذي يحرمها من أطفالها إذا تزوجت من رجل آخر.

هالة صدقي

ويقوم ببطولة المسلسل نيللي كريم، وشريف سلامة، وهالة صدقي، ومحمد ثروت، ومحمد الشرنوبي، وخالد سرحان، وفادية عبدالغني.

وذكر أن التستر خلف لافتات حقوق المرأة لتقسيم المجتمع، وتصوير بعض الأفراد للتراث الإسلامي كعدو للمرأة، واستخدام الإعلام والدراما لتشويه هذا التراث؛ فكر خبيث مغرض يستبيح الانحرافات الأخلاقية ويحاول تطبيعها، كما يستهدف تنحية الدين جانبًا عن حياة الإنسان وتقزيم دوره، ويدعو إلى استيراد أفكار غربية دخيلة على المجتمعات العربية والإسلامية، بهدف ذوبان هُوِيّتها وطمس معالمها.

وقبل أيام أعلنت نائبة مصرية تقدمها بمقترح قانون جديد للأحوال الشخصية يحدد شروط الطلاق والزواج وحضانة الأولاد والنفقة والخطبة وغيرها.

وأعلنت النائبة نشوى الديب، عضو مجلس النواب، إعدادها مشروع قانون بشأن تعديل قانون الأحوال الشخصية، سيتم مناقشته خلال الجلسات المقبلة، تمهيدا لأخذ الرأي النهائي بشأنه.